مجلة وعي للعلوم الإنسانية
العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ١٤٤٩-١٤٨٠
مجلة وعي للعلوم الإنسانية
ISSN: 3104-9125
E-ISSN:3104-9117

الشيخ العلامة علي القرداغي واختياراته التفسيرية من خلال كتابه "فقه الميزان"

دراسة موضوعية

Sheikh Ali Al-Qaradaghi and his interpretive choices Through his book, "Fiqh Al-Mizan"

An objective study

أ. م. د. فاخر عباس عيسى الداودي

Assistant Professor Dr. Fakher Abbas Issa Al-Daoudi

ديوان الوقف السني/ دائرة الوقف السني- كركوك– العراق

Email: drfakheraldawdi@gmail.com

الكلمات المفتاحية

القرآن الكريم، التفسير، الفقه، الميزان، الشيخ القرداغي.

الملخص

يسعى هذا البحث الى بيان منهجية معتدلة لفهم القرآن الكريم، قائم على ميزان يرفع الخلاف في الاصول ويقلله في الفروع، بعيداً عن الافراط والتفريط، من خلال دراسة اختيارات الشيخ القرداغي في كتابه "فقه الميزان"، حيث قدم الشيخ قراءة تفسيرية جديدة لبعض آيات القرآن تتناسب مع واقع المسلمين اليوم، حيث دمج بين التفسير والمقاصد، ومنهجية التعامل مع الآيات وفق الميزان الشرعي، ليتحقق من خلاله الوصول الى صورة متكاملة للرسالة القرآنية المتوافقة بين العقل والوحي، بعيداً عن الاهواء والعصبيات الفكرية والمذهبية، بحيث لو طبق على الواقع لرفع الخلاف وقلله الى اقصى درجة، وتوحد الصف الاسلامي وتخلص من التفرقة، وتحول من التناحر الى الوحدة والتآزر.

KEY WORD

The Holy Quran, interpretation, Jurisprudence, balance, Sheikh Al-Qaradaghi.

Abstract

This research seeks to demonstrate a moderate methodology for understanding the Holy Quran, based on a balance that removes disagreement in the fundamentals and reduces it in the branches, far from excess and negligence, through studying the choices of Sheikh Al-Qaradaghi in his book "Fiqh Al-Mizan", where the Sheikh presented a new interpretive reading of some verses of the Quran that is appropriate to the reality of Muslims today, as he combined interpretation and objectives.The methodology of dealing with verses according to the legal scale, through which a comprehensive picture of the Quranic message is achieved, consistent between reason and revelation, far removed from whims and intellectual and sectarian fanaticism. Such that, if applied to reality, it would remove and reduce disagreement to the greatest degree, unify the Islamic ranks, eliminate division, and transform from conflict to unity and solidarity.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد فيعد علم التفسير من أشرف العلوم الشرعية التي تخدم كتاب الله تعالى، وتُعين على فهم مراد الله من كلامه، ومع تطور المناهج المعاصرة، برزت اتجاهات تفسيرية تعتمد على المقاصد الشرعية وتوازن النصوص وفق منهج علمي دقيق، من بين هذه الاتجاهات، يبرز كتاب "فقه الميزان" للشيخ العلامة علي محيي الدين القرداغي، الذي جمع بين التفسير المقاصدي والبعد القيمي والاجتماعي للنصوص القرآنية.

أولاً: سبب اختيار الموضوع: وقع الاختيار على هذا الموضوع كونه يعالج قضية جوهرية مهمة جداً وخطيرة في نفس الوقت، الا وهي إنزال النصوص على الواقع بتوازن ودراية تامة، لتحقيق اهداف الشريعة الاسلامية.

ثانياً: أهمية الموضوع: تكمن اهمية هذا الموضوع في كونه اضافة جديدة الى علم التفسير، من خلال تفسير القرآن بالمقاصد القرآنية، ومنهجية التعامل مع الآيات وفق الميزان الخاص بكل موضوع بعيداً عن الاهواء والعصبيات الفكرية والمذهبية.

ثالثاً: أهداف البحث.

١. التعريف بالشيخ علي القرداغي، وبيان اختياراته التفسيرية بالمقارنة مع أمهات التفاسير الاخرى.

٢. إبراز خصائص كتاب "فقه الميزان".

٣. بيان الأثر العلمي والتطبيقي لاختيارات الشيخ القرداغي التفسيرية في كتابه المذكور، واستجلاء معالمه العلمية والشرعية، مع بيان مدى تأثير المقاصد في تلك الاختيارات.

رابعاً: منهج البحث.

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، من خلال استقراء النصوص التفسيرية الواردة في الكتاب، وتحليلها ومقارنتها بالمناهج التفسيرية التقليدية والمعاصرة.

التمهيد: نبذة تعريفية عن الشيخ القرداغي وكتابه "فقه الميزان"[١]

ولد الشيخ الاستاذ الدكتور علي محيي الدين القرداغي في ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م في منطقة قرداغ التابعة لمحافظة السليمانية في كردستان العراق، تخرج من المعهد الاسلامي وكان الأول على الدفعة، ثم التحق بالدراسة في كلية الامام الاعظم ببغداد (الشريعة والدراسات الاسلامية)، وتخرج منها بتقدير ممتاز والأول على دفعته، ثم نال شرف الحصول على درجتي ماجستير بامتياز والدكتوراه في جامع الأزهر بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع اطروحته (مبدأ الرضا في الشريعة الاسلامية

(١) من كتابه فقه الميزان ومعرفة الباحث به عن قرب.

والقانون المدني) وترجمتها الى اللغات العالمية، حيث شملت الرسالة المذاهب الفقهية الثمانية والقوانين الرومانية والإنجليزية والفرنسية والمصرية والعراقية.

انضم الى هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة قطر عام ١٩٨٥م، وترقى فيها الى أن نال درجة الاستاذية عام ١٩٩٥م، حصل على الجنسية القطرية عام ١٩٩٤م.

من سيرته الفكرية: عالم يجمع بين فقه التراث وفقه الواقع، وبين معرفة النصوص ومعرفة المقاصد، أسس نظرية فقه الميزان، وهو أول مصدر معرفي معاصر يقوم على الميزان كما جاء في القرآن، ويؤمن بنظرية الاصلاح القائمة على رفض التسلط السياسي والعنف الديني الذي يتستر بالغش الثقافي وبالسطحية والغلو، يؤمن بالبناء المعرفي والسلم الاهلي والفكر المبني على فقه الميزان، وقد صدرت له عدة دراسات عميقة في الفقه والفكر والاقتصاد وتدرس بعض كتبه في بعض الجامعات، ويؤمن بإحياء الانسان كوسيلة وحيدة لبناء المجتمع ولذلك اسس جامعة التنمية البشرية ومدارس القادة ومؤسسة إقرأ.

يشغل مناصب عدة: منها رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيس مجلس أمناء جامعة التنمية البشرية في السليمانية، ورئيس منظمة الرابطة الانسانية، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي بمنظمة التعاون الإسلامي، يعمل مستشاراً شرعياً لعدة بنوك وشركات مالية وإسلامية في قطر والإمارات والكويت وتركيا وروسيا

ألّف أكثر من ثلاثين كتاباً في الفقه الإسلامي والفكر والمعاملات المالية الاسلامية، من أبرزها: (التأمين التكافلي الإسلامي)، (التورق المصرفي)، (فقه الميزان)، (الأزمة المالية العالمية أسبابها وآثارها)، (حقيبة طالب العلم في الاقتصاد الإسلامي والمعاملات المالية الإسلامية-١٢ مجلداً)، (نحن والآخر)، (المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي)، (فقه القضايا الطبية المعاصرة).

كتاب فقه الميزان؛ أسباب تأليفه وأهدافه:

صدرت الطبعة الأولى من كتاب فقه الميزان ٢٠١٨م والطبعة الثانية ٢٠٢٠م، وقد نال ثقة العلماء من مختلف الاقطار والشعوب، فترجموه الى عدة لغات عالمية ومحلية، والطبعة التي بين يدي صادرة عن دار ابن كثير لسنة ٢٠٢٤م، ويتكون الكتاب من (٥٣٥) صفحة، كتبت حول مباحث الكتاب عدة رسائل عليا (الماجستير والدكتوراه)، وقد اعتبر كثير ممن قرضوه أو علقوا عليه بأن (فقه الميزان) علم جديد في اصوله وثري في مباحثه وأنه مفتاح من مفاتيح الفهم الصحيح والفقه العميق حول القرآن والسنة، بل هو ميزان لجميع التصورات والتصرفات، وأنه يساعد على التعليل الواضح للخلافات في العقيدة والتشريعات.

أسباب تأليف هذا الكتاب: قال الشيخ القرداغي لقد كان لتأليف هذا الكتاب عدة اسباب، اهمها وأخطرها هو أن الأمة الاسلامية تفرقت الى شيعاً وفرقاً مختلفة بدءاً من الخوارج الى يومنا هذا، وأن جميعها يستشهد بالقرآن الكريم الذي نزل لتوحيد الامة ورفع الخلاف، وبعد أن بذلتُ جهداً كبيراً توصلتُ الى أن سبب التفرق هو الخلل في فقه الميزان وفهمه، وضرب كتاب الله بعضه ببعض، واذا لم يلتزم المؤمنون بميزان دقيق لآياته فسيظلون مختلفين ولا ينفعهم وجود القرآن بينهم.(١)

أهداف الكتاب: يهدف الى توحيد الأمة ورفع الخلاف في الأصول وتقليله في الفروع، والفهم الصحيح الشامل للنصوص وأبعادها، ويهدف الى إمداد العقل المسلم بما يخرج النص من التجربة التاريخية والاطار التقليدي الفقهي او عالم المثال الى تجسيد الواقع، حيث لا يكتفي باللهج بالألسنة بأن الدِّين هو الحل، بل لا بد من تطبيقات عملية تسقط على الواقع المثخن بجراحه، جراح أزمة داخلية المتمثل في التفسيرات المتناقضة والمتضاربة للنصوص الشرعية، وجراح أزمة خارجية التي تتمثل في الصورة المشوهة للإسلام وتصرفات الجماعات المتطرفة أو المتميعة وتفسيراتها الخاطئة للإسلام، ويأتي دور

(١) ينظر: القرداغي، علي محيي الدين، فقه الميزان معياراً لفهم القرآن والسنة ورفعاً لمواطن الخلل والفرقة، دار ابن كثير، ط١(١٤٤٦هـ-٢٠٢٤م)، ٢٠.

فقه الميزان لكشف هذه التفسيرات الزائفة، وابراز دور الاسلام وتوازنه لترسيخ المنهاج الصحيح لفهم نصوص الشريعة وتنزيلها على الواقع(١).

المبحث الأول: فقه الميزان في القرآن الكريم

المطلب الأول: معنى الفقه

الفقه في اللغة: الفهم، يقال" شهدتُ عليك بالفقه"، ويقال: "فَقِهُ الرجل" بالكسر، وفلان لا يفقه ولا ينقه، وأفقهتك الشيء، ثم خص به علم الشريعة، والعالم به فقيه، وقد فقه بالضم فقاهة، وفقهه الله، وتفقه إذا تعاطى ذلك، وفاقهته، إذا باحثته في العلم(٢).

والفقه في الاصطلاح: "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهًا؛ لأنه لا يخفى عليه شيء"(٣).

أما من معاني الفقه ومشتقاته في القرآن الكريم فقد ورد كما يلي(٤):

---

(١) ينظر: فقه الميزان، ٥٤.

(٢) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ١١٥/٨.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١(١٤٠٣ه-١٩٨٣م)، ١٦٨.

(٤) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر(ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ٥٧٢/١١، والفخر الرازي، محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ١٥١/١٠، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢(١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، ٩١/٩، و ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ٢٣٧/٤، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م)، ٣٩٨/٧.

١. الفقه بمعنى الفهم والإدراك العميق "عقلياً أو دينياً"، قال تعالى: (فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) [النساء: ٧٨]، أي: لا يفهمون الكلام فهماً صحيحًا.

٢. بمعنى الفهم في الدين "علم الشريعة"، قال تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) [التوبة: ١٢٢]، أي: ليتعلموا أحكام الدين ويتفهموها.

٣. بمعنى الفهم والإدراك لما يُقال أو يحدث، قال تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُول) [هود: ٩١]، أي: لا نفهم كثيراً مما تتكلم به.

٤. بمعنى إدراك المعنى الحقيقي وراء الظاهر، قال تعالى: (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) [الأنعام: ٩٨]، أي لقوم يعقلون فيفهمون المعنى المقصود لا الظاهر فقط.

٥. بمعنى التأمل والتفكر بعقل وقلب واعٍ، قال تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أي: لا يعقلون ولا يتدبرون بقلوبهم، فهي معطلة.

وبعد بيان معنى الفقه في اللغة والاصطلاح وفي القرآن الكريم، نذكر ما أضافه الشيخ القرداغي لمعنى الفقه، حيث وضع التقريرات المتعلقة بفهمه للفقه وكالآتي[١]:

١. كان الفقه شاملا للدين كله، بل للكون كله، ولسنن الله تعالى.

٢. منذ أواخر القرن الثالث الهجري الى يومنا هذا أصاب الفقه انحسار في دائرته، وانحصار في مدلوله فقصر على العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من الادلة التفصيلية، وهذا التخصيص كان يخص الجانب الاصطلاحي، أو بعبارة أخرى كان تخصيصاً أكاديمياً.

٣. يظل لفظ الفقه في القرآن الكريم وفي اللغة بمعناه الشامل لكل فهم دقيق للدين والدنيا.

---

(١) ينظر: فقه الميزان، ٨٥.

ومما سبق تبين أن الشيخ القرداغي يقصد بالفقه الفهم العميق والتصور الدقيق الشامل للماضي والحاضر والمستقبل بقدر الامكان وما يتعلق به.

المطلب الثاني: تفسير الميزان في القرآن

ورد الوزن والميزان والموازين ومشتقاته في القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين مرة، مما يدل على أهمية ذلك، ويفهم منه الميزان المادي الذي توزن به الاشياء، والميزان المعنوي الذي توزن به الحقائق والاعمال والتصرفات والسلوك، وتأتي ضرورة الميزان مع الكتاب ليتحقق العدل في التصورات والتصرفات، فالميزان في القرآن يشمل الميزان الذي يوزن به الاشياء، وميزان الحقوق والواجبات.

قال تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) [الانعام: ١٥٢].

وقال تعالى: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) [الرحمن: ٧-٩].

وقال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: ٢٥].

ومن معاني الميزان عند المفسرين:

١. هو العدل في الأقوال والأفعال، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة، والدين الذي جاءت به الرسل كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والقصاص والحدود، فالميزان ما يعمل الناس ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي،

والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا، ومعنى انزال الميزان هو إلهامه للخلق أن يعملوه ويعملوا به[١].

٢. قال الامام الفخر الرازي في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ*أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) [الرحمن: ٧-٩]، ذكر الله تعالى الميزان ثلاث مرات، في كل مرة بمعنى مغاير: "فالأول هو الآلة، والثاني بمعنى المصدر أي الوزن، والثالث بمعنى المفعول أي الموزون"[٢]، ثم بين وجوه المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد في سورة الحديد، منها: الكتاب هو الذي يتوسل به إلى فعل ما ينبغي من الأفعال النفسانية، لأن يتميز الحق من الباطل والحجة من الشبهة، والميزان هو الذي يتوسل به إلى فعل ما ينبغي من الأفعال البدنية، فإن معظم التكاليف الشاقة في الأعمال هو ما يرجع إلى معاملة الخلق، والميزان هو الذي يتميز به العدل عن الظلم والزائد عن الناقص، وأما الحديد ففيه بأس شديد وهو زاجر للخلق عما لا ينبغي، والحاصل أن الكتاب إشارة إلى القوة النظرية، والميزان إلى القوة العملية، والحديد إلى دفع مالا ينبغي، ولما كان أشرف الأقسام رعاية المصالح الروحانية، ثم رعاية المصالح الجسمانية، ثم الزجر عما لا ينبغي روعي هذا الترتيب في هذه الآية[٣].

٣. ومن المفسرين من فسر قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) [الرحمن: ٧]، بالميزان الذي يعرف به مقادير الأشياء، من ميزان ومكيال ونحوهما، لأنه فيه وجوب العدل في الوزن، وتحريم البخس فيه وعليه، فوجه اتصال قوله (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) بما قبله هو أنه لما وصف السماء بالرفعة التي

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، ٢٠٠/٢٣، تفسير ابن كثير، ٢٧/٨، وتفسير القرطبي،١٥/١٦ و ٢٦٠/١٧، وتفسير ابن عاشور، ٩٥/٥، والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م)، ٨٤٢.

(٢) مفاتيح الغيب، ٨٠/٢٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢١٠/٢٩.

هي مصدر القضايا والأقدار، أراد وصف الأرض بما فيها، مما يظهر به التفاوت، ويعرف به المقدار، ويسوّى به الحقوق والمواجب[١].

٤. قال الامام الغزالي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ)، وقوله تعالى ((وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ))، اعلم يقيناً أن الميزان المقرون بالكتاب، وأن الميزانَ المقابَلَ وضعه رفع السماء، هو ميزان معرفة الله تعالى، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله ومُلكه وملكوته، لتتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه، كما تعلموا هم من ملائكته، فمن تعلم من رسل الله تعالى ووزن بميزان الله تعالى فقد اهتدى، ومن عدل عنها الى الرأي والقياس فقد ضل وتردى[٢].

قال الشيخ القرداغي عن الميزان في سورة الحديد: هنا الميزان ليس الميزان المادي، لان الرسل لم ينزل معهم الميزان المادي مع الكتاب، وانما المقصود به المعايير التي يمكن من خلالها ادراك الحقائق بأوزانها وفهم النصوص وجمعها وتوزيعها على كفتي الميزان، ليتحقق الفهم السليم لها ثم تنزيلها على الحوادث والنوازل، ثم وزن الاشياء والتصرفات والاعيان والسلوك ليتحقق بذلك العدل الشامل[٣].

وقال الميزان الذي مع الكتاب هو المنهاج الذي يُفسَّرُ به القرآن بعيداً عن الأهواء، فهذا الميزان هو الذي يبين ميزان كل شيء حتى لا يقع لبس أو خلط في الموازين، فمثلاً ميزان عالم الغيب مختلف عن ميزان عالم الشهادة، وميزان الحرب مختلف عن ميزان السلم والتعايش والدعوة، وهكذا، فاذا لم تعرف وتفهم هذه الموازين، أو لم يطبق الميزان الخاص بكل نوع يحدث الخلل في الفهم والتصور

(١) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق(ت١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٨هـ)، ١٠٢/٩.

(٢) ينظر: الغزالي، محمد بن محمد بن أحمد زين الدين أبي حامد(ت٥٠٥هـ)، القسطاس المستقيم في تقويم أهل التعليم، دار المنهاج، لبنان-بيروت، ط١(١٤٤٠هـ-٢٠١٩م)، ٤٧-٤٨.

(٣) ينظر: فقه الميزان، ٨٩.

وفي التنزيل والتطبيق، أما اذا عرف الشيء على حقيقته وعلم ميزانه الخاص به دون خلط او لبس فحينئذ يكون الحكم عليه موزوناً بإذن الله تعالى(١).

وان الوصول الى معرفة ميزان كل شيء يحتاج الى الخطوات الاساسية الاربع الاتية(٢):

الخطوة الأولى: التعرف على الميزان العام للإسلام، والميزان الخاص بكل فرع من فروعه.

فالميزان العام للإسلام يقوم على كفتي الميزان: "الوحي والعقل" بتوازن دقيق وتكامل بديع، وتوزيع للأدوار دون أي تعارض بينهما، وميزان تفسير النصوص الشرعية (الوحي) يقوم على كفتين لا يجوز تجاوزهما الى الاعتماد على كفة واحدة وهما: كفة اللغة العربية حسب دلالاتها المفهومة في عصر الرسالة، وكفة الاستنباط والاجتهاد القائم على التعليل في غير العبادات المحضة مع مراعات المقاصد والغايات والحكم العامة والخاصة من قبل الشارع الحكيم، اما الكفة الثانية (العقل) فهو الجناح الثاني لتحقيق رسالة الانسان من الاستخلاف وأن دوره يكمن في أمرين: فهم النصوص الشرعية وادراك حكمها ومقاصدها واسرارها والاستنباط منها، والقيام بجميع الوسائل العلمية من الابداع والابتكار والتقنية العلمية لتعمير الارض كما أمر الله تعالى فقال: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [هود: ٦١].

ومع معرفة الميزان العام للإسلام فان هناك موازين لأقسام الاسلام عقيدة وشريعة واخلاقاً، سماه الشيخ بالموازين الخاصة، فيجب التعرف عليها للوصول الى الفقه الموزون والحكم الموزون والتصرف الموزون وهي كثيرة متنوعة مبثوثة في داخل القرآن الكريم فيتم الوصول اليها من خلال العلم والخبرة والتدبر بعد توفيق الله، منها: ميزان العقائد وميزان الاخلاق وميزان العبادات المحضة

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٢٩-٣٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٣٠ وما بعدها.

وميزان ما يجمع بين العبادات المحضة وغيرها وميزان العلاقة مع ولي امر المسلمين وميزان الاسرة وغيرها من الموازين(١).

الخطوة الثانية: التعرف على كفتي الميزان، أو جناحيه.

فمثلاً أن جميع الآيات الواردة بشان التعامل مع غير المسلمين يقوم على ميزان العدل، وهذا الميزان له كفتان: (الحرب والسلم) وعندئذ نضع في كفة الحرب جميع الآيات الواردة في قتال الكفرة والمشركين، والشدة معهم: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) [الفتح: ٢٩]، والغلظة: (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) [التوبة: ١٢٣]، والاحاديث الواردة في أن (الحرب خدعة)(٢)، وغير ذلك من الآيات في هذا الاطار حيث تفسر بأنها جميعاً خاصة بحالة الحرب، ويمكن أن نسميها بميزان الحرب، وأما الآيات الواردة في القول اللين: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) [طه: ٤٤]، والبر والاحسان: (أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) [الممتحنة: ٨]، والقول الأحسن: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: ٨٣]، فهذه الآيات والأحاديث توضع في كفة السلم والدعوة والتعايش السلمي، أو في ميزان السلم، فبناءً على ذلك فلا يوجد أي تناقض أو تعارض بين هذه الآيات ولا حاجة الى القول بالنسخ، ويدخل في ذلك ضرورة التفسير الشفعي لجميع المصطلحات الاسلامية المرتبطة بنشاط الانسان(٣).

الخطوة الثالثة: إجراء الموازنة بين كفتي الميزان.

حيث نجد في الشريعة الاسلامية أولى الأولويات، والفرائض، والواجبات، ثم تنزل رتبة رتبة الى رتبة المباح، وكذلك نجد أكبر الكبائر، ثم الكبائر الموبقات، ثم الكبائر، ثم الصغائر، وفي كفتي التعامل

---

(١) ينظر: فقه الميزان، ٣٠ –٤٧.

(٢) متفق عليه، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، باب الحرب خدعة، (٢٨٦٦)، ١١٠٢/٣، ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت، باب جواز الخداع في الحرب، (٤٧٣٦)، ١٤٣/٥.

(٣) بنظر: فقه الميزان، ٤٧–٤٨.

مع الاخر نجد ان كفة السلم والدعوة والتعايش السلمي هي الارجح والاقوى من كفة الحرب والقتال وهكذا[١].

الخطوة الرابعة: الوصول الى الفقه الموزون والتصور الموزون والتصرف الموزون.

وبالوصول ال هذه النتيجة يكون الوصول الى الخطوة الاخيرة التي يتم الوصول اليها بعد تطبيق الخطوات السابقة وعبورها بنجاح، وهذا يحتاج الى وازن يتسم بالفقه والعلم والحكمة والخبرة والقدرة على التحليل والاحاطة الشاملة بالموضوع المراد معرفة ميزانه[٢]. وهذه الخطوات الاربع سماها الشيخ بخارطة الطريق لفهم فقه الميزان.

وبعد ذلك توصل الشيخ الى تفسيره الخاص بآية الميزان في سورة الحديد حيث قال[٣]: أفهم بوضوح أن قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: ٢٥]، يدل على بواعث التمكين في الارض وتحقيق العدل والحضارة والخير بين الناس حيث يفهم منها أن أسبابها ما يلي:

١. الايمان بالله تعالى القوي العزيز مع العمل، والاخذ بالأسباب والأمل الكبير بالنصر المبين في جميع مجالات الحياة، فالإيمان القوي والعمل الجدي والامل الثري هي أهم عناصر صناعة الحياة.

٢. نشر الحق بالبراهين والبينات المقنعة للناس، وهذا يدل على أهمية نشر الحرية (الحسنة المؤدبة) في المجتمع، بحيث يتم انضمام الناس الى الاسلام عن طريق ارادتهم واختيارهم، لان تحقيق الخير والعدالة والحضارة لا يتم في ظل الاستبداد والكبت والارهاب والدكتاتورية.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٤٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٤٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٩٢-٩٣.

٣. ضرورة وجود مرجعية أساسية مجمع عليها بين المؤمنين بها، وهو ما عبرت عنه بـــ(الكتاب)، وهو بمنزلة الدستور الجامع للامة المبين لحقوقهم وواجباتهم، ويدخل في (الكتاب) القرآن والسنة النبوية المطهرة لأنها بيان له.

٤. وجود موازين ومعايير ثابتة لفهم الكتاب وبيانه، ولبيان الحقوق والواجبات.

٥. تحقيق الإنصاف والعدل الذي هو من أهم الأهداف والغايات التي أنزل الله تعالى لها الكتاب وأرسل لها الرسل.

٦. تحقيق القوة الشاملة للقوة المادية والمعنوية والعسكرية والاقتصادية والقدرة العلمية والتقنية على الاستفادة من الحديد لتحقيق امرين مهمين هما: تحقيق نظرية الردع الاستراتيجي للامة، وتحقيق المنافع العلمية والتقنية والصناعية والتجارية للناس أجمعين.

ومما سبق تبين أن المقصود بفقه الميزان هو: معرفة الموازين التي توزن بها ابواب الاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، والتعامل مع كل باب حسب ميزانه الخاص به، ومعرفة اوزان التصرفات والاحكام الشرعية ووزنها من خلال كفتي الميزان، للوصول الى فقه موزون وفكر موزون.

المطلب الثالث: الحكمة في القرآن وعلاقتها بفقه الميزان

الحكمة في اللغة: (حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حَكَمَةُ الدابة لأنها تمنعها، يقال: حَكَمْتُ الدابة وأحكمتها، ويقال حَكَمْتُ السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل[١].

(١) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، باب (حكم)، ٩١/٢.

والحكمة في الاصطلاح: هي إصابة الحق بالعلم والعمل، فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات بها، وعلم الحكمة هو علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية، وهي من العلوم العقلية [١].

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة منها:

قوله تعالى: (يؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [البقرة: ٢٦٩].

واقترنت الحكمة مع الكتاب عشر مرات، منها قوله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [١٦٤].

وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) [لقمان: ١٢]. وقال تعالى: (وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ) [البقرة: ٢٣١].

الحكمة عن المفسرين: قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره، وقال قتادة ومجاهد: الحكمة: هي الفقه في القرآن، وقال مجاهد: الإصابة في القول والفعل، وقال ابن زيد: الحكمة: العقل في الدين، وقال مالك بن أنس:

(١) ينظر: الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم-الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط١(١٤١٢هـ)، ٣١، والمناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-دار الفكر، بيروت-دمشق، ط١(١٤١٠هـ)، ٢٩١.

الحكمة: التفكر في أمر الله والاتباع له، أو هي طاعة الله والفقه في الدين والعمل به، وقيل بمعنى الحلال والحرام(١).

وكل هذه الأقوال تشترك في أن الحكمة: هي الفهم الصحيح والعلم النافع واتباع المعلوم المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة.

قال الشيخ القرداغي وبناءً على الفهم الشامل لهذه الآيات الكريمة يمكن استنباط ما يلي(٢):

١. يمكن أن تعطى الحكمة لغير الأنبياء، وعلى الراجح أن لقمان لم يكن من الأنبياء .

٢. ان الحكمة نوعان: حكمة منزلة على الانبياء وحكمة لأصحاب العقول المستقيمة والفطر السليمة.

٣. الحكمة منزلة كما ان الكتاب والميزان منزلان وهنا تكمن العلاقة بين الحكمة وفقه الميزان.

٤. الحكمة أعم من الوحي، واستعملت في القرآن لعدة معان حسب مقامها وسياقها، فالحكمة تشمل القرآن بلا شك وتشمل السنة الصحيحة ايضا، ولكنها لا تنحصر فيهما، بل تشمل اصابة الحق في القول والعمل والعلم الراسخ النافع، والفقه في دين الله وفي الدنيا، والخشية والمقاصد والاسرار الحقيقية للأحكام كما تشمل فعل ما ينفع، والامتناع عما يضر في الدنيا والاخرة، ووضع الشيء في محله.

٥. الحكمة اذا ذكرت متجردة فهي شاملة لكل ما فيه خير واصابة الحق ووضع الشيء في محله، وفي زمنه، ولكل ابداع وعلم يقيني نافع، ولكن اذا ذكرت مع الكتاب في القرآن الكريم فانه يراد بالكتاب

---

(١) ينظر: الحيري، أبو عبد الرحمن اسماعيل بن احمد الحيري النيسابوري(ت٤٣١هـ)، وجوه القرآن، تحقيق نجف عرشي، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ط٢(١٤٣٢م)، ١٩٣-١٩٤، وتفسير ابن كثير، ٧٠٠/١، والزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢(١٤١٨هـ)، ٦٣/٣.

(٢) ينظر: فقه الميزان، ١٢٦-١٢٧.

الوحي، وبالحكمة ما انتجته الفطر السليمة والعقول المستقيمة من الفوائد والاسرار والابداع والتجارب النافعة.

وبذلك فإن فقه الميزان داخل في الحكمة بل متفق معها، لان الحكمة هي وضع الشيء في محله المناسب وفي وقته المناسب، وقد تبين لنا أن الميزان يحقق ذلك، لذلك فالميزان هو الحكمة المنزلة، وكلاهما توفيق رباني ونور الهي يقذفه في قلوب انبيائه، وعباده الربانيين، ولكن فقه الميزان منضبط من خلال معاييره الثابتة[١].

المطلب الرابع: العبادة وموازينها

العبادة في اللغة: الخضوع للإله على وجه التعظيم والشعائر الدينية، والانقياد والتذلل والطاعة[٢].

وفي الشريعة: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، والطاعة والانقياد والخضوع لله تعالى عن ارادة واختيار[٣].

فالعبادة هي الغاية، والتعمير هو الرسالة، وان الله تعالى لم يخلق الانسان دون مسؤولية ومهمة، وأي خلل في الفهم والمقاصد والتطبيق يؤدي الى الخلل في الموازين، فاذا كان الغاية من خلق الانسان تحقيق كفتي الميزان: (التعبد الشعائري أي التسبيح والتقديس والتحميد لله تعالى) و (والاستخلاف والاستعمار)، فإن أي خلل فيهما سيؤدي الى اختلال النتائج فلكل واحد منهما دوره ووزنه الخاص به،

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١٣٠.

(٢) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٧٣/٣. والفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ٢٩٦/١، وابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، باب العين، ٥٧٩/٢.

(٣) ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني(ت٧٢٨هـ)، العبودية، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ٤٤، وابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، ١٨٢/٢.

فعمران الكون وتحقيق الحضارة والقوة والتقدم له اسبابه وسننه الخاصة به من الاعتماد على العلوم الكونية والطبيعية التي هي المفتاح لاستخراج كنوزه وعمرانه، بالإضافة الى الاخذ بجميع السنن الخاصة بهذا العمران، واما اصلاح الانسان ليكون صالحا متقنا فله اسبابه ووسائله الخاصة من الايمان والتربية والتزكية، فهما في الحقيقة يقومان على ميزانين مختلفين وان كانا يتفقان في النهاية لتحقيق السعادة الشاملة في الدنيا والآخرة(١).

لذلك فلا يمكن تحقيق الاستخلاف والعمران المادي لهذا الكون بالتسبيح والتقديس فقط، وهذا ما رد الله تعالى به الملائكة حينما وضعوا معيارا للاستخلاف يقوم على ذلك، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٣٠]، ثم اختبر الطرفين ففاز سيدنا آدم عليه السلام بالعلم، وعندئذ أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم(٢).

كذلك لا يتحقق التعبد لله تعالى بالعمران وحده فقط، فقد جعلهما متلازمين لسعادة الدنيا والاخرة وتحقيق حسنتيهما، فالأمم المادية اعتمدت على جميع السنن المؤدية لعمران الارض واستخراج خيراتها من خلال مفتاح العلوم الخاصة بذلك، فنجحت في الدنيا ولكن خسرت الاخرة والسعادة الروحية، أما الامم التي اعتمدت على الرهبنة فتخلفت عن العمران والحضارة والابداع فخسرت الدنيا، ولكن الاسلام الحقيقي يقوم على هذين الجناحين دون التفريط بأي واحد منهما، ومع الاسف الشديد فقد وقع خلل كبير منذ عدة قرون في هاتين الكفتين من حيث التأصيل والتطبيق لدى المسلمين، فلم تول العناية المطلوبة بتحقيق التوازن بينهما، وانما اهتم الكثيرون منا بالزهد القائم على التعبد الشكلي وليس

(١) ينظر: فقه الميزان، ٢٨٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢٣.

التعبد الذي يريده الاسلام، لذلك ظهر علينا هذا التخلف والتأخر الشديد في الابداع الدنيوي الذي لا يخفى على أحد(١).

المبحث الثاني: توازن الشريعة

ذكر الشيخ أهمية التوازن في كل شيء، في الكون والانسان والشريعة، بمعنى وضع كل شيء من النصوص والاحكام والانشطة في ميزانه الخاص، ليتحقق التوافق المطلوب، ولا يتحقق ذلك الا بالفهم الثنائي والنظرة العادلة الى الكفتين دون وكس ولا شطط، لذلك معظم الاختلافات تعود الى أن أحد الطرفين لا يستعمل الميزان اصلا للوصول الى معرفة الحق الموزون، لكن اهل الحق ينظرون الى الكفتين ويتوصلون الى الحق الكامل، فقد اثبت العلم الحديث التوازن الدقيق بين جميع مكونات الكون والبشر، وسبقه الى ذلك القرآن العظيم في آيات كثيرة، قال تعالى عن توازن الكون: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) [الفرقان: ٢]، وعن توازن الانسان قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [التين: ٤]، أما عن توازن الشريعة فإن خالق الكون والانسان أرسل شريعة كاملة متوازنة لهذا الانسان ليدبر بها شؤون نفسه، وليتحقق بها التمكن من الكون واستخلافه وتعميره في ضوء المنهج الرباني، قال تعالى: (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) [الفجر: ٣]، فالإنسان يقوم على الزوجية "الذكر والانثى"، وكذلك جميع المخلوقات فهي شفع، والله وحده وتر، فجاءت الشريعة على كفتين متعادلتين لتحقيق الانسجام بينها وبين الانسان، لذلك تفهم الشريعة عند جمع نصوصها الخاصة بموضوع معين ثم توزيعها على الكفتين وهذا ما سماه الشيخ بنظرية الشفع في فهم النصوص(٢).

وبناءً على ذلك فالإسلام كله قائم على الفهم الثنائي والتوازني وليس الفهم الاحادي، ولأهمية ذلك نأخذ بعض النماذج التفسيرية التي لا تقبل احادية الفهم، وسبب بعض الانحرافات العقدية، وكيفية

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٢٢-٢٣.
(٢) ينظر: فقه الميزان، ٢٠١ وما بعدها.

التمييز بين الآيات الخبرية والتكليفية، وآثار الخلل الذي يحدث في التوازن لفهم النصوص وتطبيقها من خلال ثلاثة مطالب..

المطلب الأول: سبب بعض الانحرافات العقدية "الجبرية والقدرية"

اذا درسنا الانحرافات العقدية التي حدثت داخل الامة الاسلامية وفرقها العقائدية، نصل الى أنها حدثت بسبب الخلل في فقه الميزان، واذا أخذنا على سبيل المثال ميزان التخيير وميزان الجبر والتسيير "الجبرية والقدرية"، نجد أن سبب وقوعهم في هذه البدع والانحرافات العقدية هو الخلط بين ميزان التخيير وميزان الجبر والتسيير، وفي الحقيقة أنه لا تعارض بين كون الانسان مختاراً مريداً، وبين إرادة الله تعالى ومشيئته واختياره، وذلك لأن ارادة الله تعالى تختلف عن ارادة الانسان، فإرادة الله مطلقة قاهرة مهيمنة على إرادة الانسان(١)، في حين أن إرادة الانسان مقيدة ضعيفة خاضعة للإرادة الالهية(٢).

وبالنظرة الجامعة لمقاصد القرآن ولجميع الآيات الواردة في الموضوع الواحد، وهذه النظرة التي سمها الشيخ بـــ "النظرة الشفعية" القائمة على كفتي الميزان، أو الثنائية البعيدة عن النظرة الأحادية، لوصلنا الى الحقيقة دون افراط ولا تفريط، فمثلا لو اخذنا الحكم من قوله تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير: ٢٩]، وقوله تعالى: (...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ...) [الانفال: ١٧]، ونحوهما من الآيات لظهر قول الجبرية بأن الانسان مسير، ولكن لو أضفنا إليها الآيات الاخرى التي أخذت بها القدرية والمعتزلة على أنها تدل على أن الانسان مخير مطلقاً مثل قوله تعالى: (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [الكهف:٢٩]، وجميع الآيات التي اسندت الافعال الى الانسان والجزاء عليها، لتوصلنا الى الحق وهو أن الله تعالى منح للإنسان الحرية والارادة والاختيار والمشيئة، ولكن ارادة الله تعالى ومشيئته وقدرته فوق ارادة الانسان، فهذه لها الدائرة الأولى المهيمنة، وأن الله

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، ٦٩/٣١.
(٢) ينظر: فقه الميزان، ٣٣٣ وما بعدها.

تعالى هو الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء، في حين ان لإرادة الانسان دائرته الخاصة بها وفق سنن الله[١].

قال الامام ابن القم الجوزية رحمه الله: "وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب، وبعضهم أقرب إلى الصواب وبعضهم اقرب الى الخطأ"[٢] ثم بين أن الجبرية أصابوا الحق عندما قالوا أن افعال العبادة مخلوقة، ولكنهم أخطأوا في نفي الارادة عن الانسان، والقدرية أصابوا الحق في اثبات القدرة والاختيار للإنسان لكنهم أخطأوا في جعلها مستقلة عن قدرة الله وارادته ومشيئته، ثم قال: "وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم، فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه، ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهله من هذا الوجه، فهم حكام بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق، ولا يردون حق طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة، ولا يردون باطلا بباطل، ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل"[٣].

المطلب الثاني: ميزان الخبر وميزان التكليف

إن الخبر الذي أخبرنا الله تعالى به هو صدق ومحقق الوقوع حتماً، إما ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً، وذلك مثل إخباره بما فعله عند خلق السموات والارض، أو ما يكون عليه الخلق والأمر، أو

---

(١) ينظر: فقه الميزان، ٣٦٠-٣٦١.

(٢) ينظر: ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر – بيروت، (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م)، ٥١.

(٣) شفاء العليل، ٥١-٥٢

ما يتعلق بيوم القامة، أو اخباره بانتصار الروم، أو تمكين المؤمنين من الأرض ونحو ذلك، فكل هذه الاخبار حق وواقع لا محالة، وأما ما أمر الله تعالى به من التكاليف مرتبط بالعباد مع توافر شروط التكليف (العقل والبلوغ والقدرة والاستطاعة)، فهذا النوع الثاني قد يتحقق وقد لا يتحقق، لذلك فمن كان لديه العلم بميزان خبر الله وميزان التكاليف ويميز بينهما يكون على بينة وهدى وبصيرة، ومن لم يكن لديه هذا الفقه قد يضطرب بفكره ويخلط بين الاخبار والاقدار الالهية وبين التكاليف الشرعية(١).

فمثلا في قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [ال عمران: ٩٦-٩٧]، فقوله تعالى: (وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) وإن جاءت في صيغة الخبر لكنها تكليف شرعي لأولي الامر بالسعي الحثيث لجعل كل من يدخله آمناً، وقد فهمه البعض أنه خبر ولذلك ظن أن من يدخل الحرم يصبح آمناً(٢)، ثم يقف حائراً أمام الاحداث التي حدثت في الحرم وأدى الى قتل اعداد كبيرة من الحجاج والزائرين، كأحداث الهجوم على الحرم الشريف وقتل من فيه أكثر من مرة ايام استشهاد عبد الله بن الزبير الى العصور المتأخرة، أو احداث التي حدثت بسبب التزاحم أو بسبب الفيضانات والسيول وغيرها، وهذا خلل في فقه الميزان، حيث ان هذه الآية تدخل ضمن ميزان التكليف وليس ميزان الخبر(٣).

المطلب الثالث: الخلل في التوازن بين الانتاج والاستهلاك

قال تعالى: (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) [الحج: ٤٥]، قال أهل التفسير: أي كم من قرية أهلكتها، أي بإهلاك أهلها، وهي ظالمة أي أهلها بكفرهم، خاوية ساقطة، على عروشها سقوفها، أي ساقطة حيطانها على سقوفها أو خالية، وبئر معطلة

(١) ينظر: فقه الميزان، ٣٢٧.

(٢) ينظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر الاشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ٣٧٣/١.

(٣) ينظر: فقه الميزان، ٣٢٧-٣٢٨.

أي وكم من بئر معطلة، أي متروكة بموت أهلها عطفا على قرية، وقصر مشيد رفيع أي مرفوع حال، بموت أهله، أو مجصص مبني بالشيد أي الجص، أخليناه عن ساكنيه، وذلك يقوي أن معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها(١).

لكن الشيخ القرداغي فسر (بئر معطلة وقصر مشيد) بالخلل الحاصل بين الانتاج والاستهلاك، وأن السبب في هذا المصير هو الظلم بمعناه الشامل، وأن النتيجة هي الخراب، ويفهم من الآية أن تلك القرية كانت مرفهة، لديها القصور المشيدة ولكنها كانت ظالمة غير متوازنة، حيث كانت وسائل الانتاج مثل الآبار معطلة، مع أن القصور الفخمة (مظهر الترف) كانت موجودة، وهذا ما ينطبق على معظم العالم الاسلامي اليوم وللأسف، حيث مظاهر الترف والقصور بارزة مع عدم وجود ما يكفي من ادوات الانتاج، فالخلل ظاهر بين الانتاج والاستهلاك، وبين الضروريات والحاجيات والترفيهيات، وبين الموارد البشرية في بلد والموارد المالية في بلد آخر، فبعض الدول الاسلامية لديها امكانية بشرية هائلة، والبعض الآخر تملك الموارد المالية الممتازة، ومع ذلك لا توضع السياسات الفعالة لتحقيق التوازن والتكامل، فهنا الخلل، ولا نجاة الا في اقتصاد موزون(٢).

لذلك فإن الهدف الاسمى للاقتصاد الاسلامي هو الاقتصاد المتزن والموزون، ولن تستقيم صناعة الحياة في الدنيا الا بالتوازن الدقيق، لأن كل ما في الكون زوج وشفع وهو ما اثبته العلم الحديث وعبر عنه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً، فقال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) [يس: ٣٦]، وقد دلت التجارب والتاريخ على أن هذا التوازن لن يستطيع البشر أن يحققوه وحدهم دون هداية ربانية، ولذلك كانت الرسالة الخاتمة قائمة على هذا

(١) ينظر: تفسير الطبري، ١٨/ ٦٥٤، وأبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود(ت ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ٤٢٧/٧، ومفاتيح الغيب، ٢٣٣/٢٣، وتفسير ابن كثير، ٤٣٨/٥، وتفسير القاسمي، ٢٥١/٧، والشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ٢٧٠/٥، وتفسير ابن عاشور، ٢٨٦/١٧، والتفسير المنير، ٢٣٥/١٧.

(٢) ينظر: فقه الميزان، ٣٥٠ وما بعدها.

التوازن في جميع أوامرها ونواهيها وارشاداتها، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: ٢٥]، الآية تربط بوضوح بين الميزان وتحقيق العدل، فدون الميزان الدقيق لن يتحقق العدل قطعاً، بل يكون العالم يميل نحو اليمين مرة، ونحو اليسار مرة، والحق دائما هو الوسط والصراط المستقيم.

المبحث الثالث: النظرة الشفعية للنصوص وبعض التطبيقات العملية

يقصد الشيخ القرداغي بالنظرة الشفعية النظر الى آيات القرآن الكريم حول موضوع ما النظرة الجامعة الشاملة، وعدم تقطيع آياته كما فعل أهل الكتاب الذين قسموا كتابهم أقساماً منها ما أظهروه، ومنها ما أنسوه، وكذلك فعل أهل النفاق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) [الحجر: ٩١]. أي جعلوه أعضاء، حين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وعضين جمع عضة، وفرقوا بين آياته واختاروا منها ما يريدون وتركوا الباقي، بينما كتاب الله جامع يفسر بعضه بعضاً وذلك وفق الميزان الصحيح وفقهه العميق[١].

فعنما يجد الباحث في القرآن الكريم التعارض الظاهر بين النصوص لا يجد الحل الدقيق الا في فقه الميزان، حيث يضبط مسار النصوص ويوزعها على ميزانها الخاص، فيحمل آيات الشدة على ميزان الحرب وآيات الصلح على ميزان السلم، ثم توزع جميع الآيات على كفتي الميزان، ثم النظر اليهما(طرفي التعارض) نظرة جامعة شمولية فيتبين للباحث عدم وجود التعارض، وهذا ما يسمى بالنظرة الشفعية الزوجية دون النظرة الأحادية.

(١) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي(النكت والعيون)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٧٢/٣، والتفسير المنير، ٦٦/١٤.

المطلب الأول: ميزان التعامل مع غير المسلمين

ميزان التعامل مع الاخر يقوم على حب الخير للآخر، والتعامل معه بالبر والاحسان إلا إذا كان معتدياً، وحينئذٍ يطبق عليه قوانين العدل والانصاف مع تفضيل العفو وكظم الغيظ، قال تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الممتحنة: ٨-٩]، هاتين الآيتين وضعتا المبادئ العامة الاساسية للتعامل مع غير المسلمين، وهي[١]:

١. الدعوة وعدم اليأس من اسلامهم.

٢. عدم البناء على بقاء العداوة، إذ يمكن أن تتحول الى مودة بإسلامهم أو التصالح أو نحوهما.

٣. أن ميزان التعامل في حالة عدم اعتدائهم على المسلمين هو العدل والبر والاحسان.

٤. أن ميزان التعامل في حالة العدوان والحرب هو الرد بالمثل، وعدم جواز الموالاة لهم مطلقاً.

ويمكن أن تنحصر العلاقة مع غير المسلمين في أربع حالات[٢]:

الحالة الأولى: حالة الحرب: التي لها ميزانها الخاص، وتكمن في عدم الموالاة والرد بالمثل وعدم الاعتداء .

الحالة الثانية: حالة السلم: وميزانها اظهار القيم الاسلامية من الرفق واللين والرد الجميل والتعايش والتعاون فيما يعزز تكوين مجتمع السلم والامان.

---

(١) ينظر: فقه الميزان، ٢٥٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢٦٠ وما بعدها.

الحالة الثالثة: حالة غير المسلمين الذين يعيشون في بلاد المسلمين من خلال عقد المواطنة: وميزانها السلم والعهد والامان والالتزام بالعقود والمواثيق.

الحالة الرابعة: حالة الاقلية المسلمة التي تعيش في ظل دول غير مسلمة: كالأقلية المسلمة في أوربا، فميزانها يقوم على المواطنة والحقوق المتقابلة، واحترام القوانين والمواثيق التي لا تتعارض مع الثوابت الاسلامية، مع مراعات فقه الضرورات والحاجيات والرخص، وهناك قواعد خاصة بهم.

المطلب الثاني: تحديد دار الحرب ودار الإسلام

بعد أن ذكر الشيخ أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين في تقسيمهم وتصنيفهم لدار الحرب ودار السلم، ومناقشة آرائهم وأدلتهم قال إن جميع هذه الادلة ليس فيها التصريح لهذا التقسيم، لذلك استنبط من قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) [الأنفال: ٧٢-٧٣]. تقسيما رباعياً وكالآتي[١]:

١. المؤمنون الذين تضمهم دار الإسلام من المهاجرين والأنصار، فهؤلاء لهم حق الولاية والنصرة.

٢. المؤمنون الذين بقوا في دار كفر دون الهجرة، فهؤلاء كان عليهم الهجرة، ولم يكن لهم حق الولاء والنصرة المطلقة، لاختلاف دارهم عن دار الاسلام، ولكن لهم حق الاخوة الايمانية من التوارث ونحوه، وأنهم إن استنصروا الدولة الاسلامية فعليها نصرتهم الا على قوم بينها وبينهم عهود وميثاق، ثم نسخ وجوب هجرتهم الى المدينة بعد فتح مكة.

(١) ينظر: فقه الميزان، ٣٨٧ وما بعدها.

٣. غير المسلمين الذين بينهم وبين المسلمين ميثاق واتفاقيات فهؤلاء لهم عهدهم وأمانهم، بل لا يحاربون حتى لو استنصر بهم مسلمون خارج دار الاسلام.

٤. كفار آخرون ليس بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، وهم متربصون بالمسلمين ويحاربونهم، أو أنهم احتلوا أرض الاسلام ولا يريدون الخروج منها، فهذه دار حرب بالقوة أو بالفعل.

ثم قال: "والذي يظهر لنا رجحانه هو أن جميع الدول اليوم إما دول إسلامية، أو داخلة في العهد من خلال عضوية الأمم المتحدة والسفارات، إلا الكيان الاسرائيلي التي لا زالت تحارب وتحتل الاراضي الفلسطينية والقدس الشريف وغيره"(١).

وفقه الميزان في هذا التقسيم هو أن هذا التقسيم حق وصحيح وواقع، ولذلك يجب أن يوضع لدار الحرب ميزانها الخاص المناسب للحرب وطبيعتها، ولدار كفرٍ مسالمٍ ميزانها الخاص من عدم إعلان الحرب ضدها، والسعي للتعريف بالإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولدار العهد أيضاً ميزانها الخاص القائم على احترام العهود والمواثيق والوفاء بالعقود، ولا يجوز الخلط فيما بينها(٢).

المطلب الثالث: فقه الميزان في "آيات الحرب والغلظة وآيات الصلح والسلم"

توجد في القرآن الكريم عشرات من الآيات التي يظهر أنها تدل على أن الأصل في الاسلام هو القتال والهجوم والغلظة، منها:

قوله تعالى: (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: ٥]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [التوبة: ٧٣]، و[التحريم: ٩]، وقوله تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا

(١) المصدر نفسه، ٣٩٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٣٩٢.

الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) [محمد: ٤].

وفي المقابل هناك العشرات من الآيات التي تدل على الصلح والسلم والدفع بالتي هي أحسن، منها:

قوله تعالى: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى: (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الانفال: ٦١]، وقوله تعالى: (لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت: ٣٤]

والفهم الصحيح لهذين القسمين من النصوص يظهر من خلال النظرة الجامعة لهذه النصوص، ووضع الآيات على كفتي الميزان، حيث يتبين ما يلي(١):

١. ان عالم العلاقات بين الانسانية اذا لم نخضعها لموازينها الخاصة واوزانها يترتب عليه فساد كبير، ومن هنا فهي اما علاقة حرب او علاقة سلم وتعايش، ومن ثم فان للحرب ميزانه الخاص به وللسلم ميزانه وللدعوة ميزانه.

٢. ان ميزان السلم والتعايش يقوم على أساس التعارف والتحاور والتعامل والحث على التعاون وعلى اللين والرفق والتهدئة وعلى ضوء ذلك تحمل جميع النصوص الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة المتعلقة باللين والرفق ونحوهما على ميزان السلم والدعوة.

٣. ان ميزان الحرب يقوم على التعبئة الحربية والاثارة والتحريض والنفير والغلظة والشدة والعنف والخدعة والهيمنة والنصر والظفر والتخويف والترهيب، لذلك تحمل جميع النصوص التي تدل على

(١) ينظر: فقه الميزان، ٣٩٤-٣٩٥.

الشدة والغلظة والتحريض على ميزان الحرب، وبذلك لن نجد أبداً أي تعارض بين آيات الحرب ومتعلقاتها، وآيات السلم والدعوة ونحوها.

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة بين ثنايا كتاب فقه الميزان للشيخ العلامة علي القرداغي يمكن استنتاج ما يأتي:

١. سبب تأليف كتاب فقه الميزان والتوسع في نظرية فقه الميزان بشكل عام، هو تفرق الامة الاسلامية الى توجهات متعددة، علما بأن كل توجه يستشهد بالقرآن ويستدل به ليعتضد توجهه دون الوصول الى الوحدة والتآلف، فقد اعتبر الشيخ القرداغي ذلك خللاً في فقه الميزان، فوضع هذا الكتاب كجزء من الحل لهذه الاختلافات.

٢. فسر أهل التفسير قديماً وحديثاً الميزان المنزَّل مع الكتاب تفسيراً معنوياً المتمثل بالعدل الذي تستقيم به الحياة، وتفسيراً مادياً المتمثل بآلة الميزان المعروف التي توزن بها الاشياء، والشيخ القرداغي فسره بالمنهاج الذي يُفسَّرُ به القرآن بعيداً عن الأهواء، والمعيار الذي يفهم به الكتاب ومعرفة الحقوق والواجبات، وسبقه الى ذلك الامام الغزالي حيث فسره بمعرفة الله تعالى لكنه اتجه في ذلك اتجاهاً منطقياً بحتاً.

٣. يقصد الشيخ بفقه الميزان معرفة عامة لجميع ابواب الاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، ومعرفة أوزان التصرفات والاحكام الشرعية، ووزنها من خلال كفتي الميزان، للوصول الى فقه موزون وفكر موزون، والى ذلك يدعوا الشيخ في كثير من لقاءاته وندواته بهدف تحقيق وحدة الامة فكرياً والابتعاد عن التفرقة.

٤. اشار الشيخ الى بعض الانحرافات العقدية والفكرية، التي حدثت في تاريخ الامة، وعدَّ الجهل وظهور الجهلة والمتعصبين، وعدم وجود العلماء الراسخين، من أكبر أسباب الخلل في فقه الميزان، والتي أدت الى التفرق والتمزق الذي أصاب الامة الاسلامية.

٥. الجديد الذي جاء به الشيخ القرداغي في فقه الميزان هو اختياراته في تفسير بعض الآيات، حيث أختار تفسيراً جديداً لها لم يسبقه أحد من المفسرين.

٦. فتح الشيخ القرداغي لأهل التفسير آفاقاً واسعاً من خلال النظرة الشفعية للنصوص ووضع كل نص على كفته، دون الاختلال بفقه الميزان.

٧. يمكن أن يكون هذا الكتاب أساساً لنظرية فقه الميزان في جميع جوانب الحياة، وتكتب عنه مباحث عديدة وبتوسع، ولا سيما مراعاة التوازن في الجانب الاجتماعي والاقتصادي والحربي، حيث أشار الشيخ الى هذه الجوانب وعيّن أسباب الخلل لدى كل جانب وكيفية الوصول الى الحلول المناسبة لها.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. **ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.**
٢. **البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).**
٣. **ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني(ت٧٢٨هـ)، العبودية، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).**
٤. **الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت٨١٦ه)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١(١٤٠٣ه-١٩٨٣م).**
٥. **الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤(١٤٠٧ه-١٩٨٧م).**

٦. الحيري، أبو عبد الرحمن اسماعيل بن احمد الحيري النيسابوري(ت٤٣١هـ)، وجوه القرآن، تحقيق نجف عرشي، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ط٢(١٤٣٢م).
٧. الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم-الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط١(١٤١٢هـ).
٨. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢(١٤١٨ه).
٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م).
١٠. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
١١. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر(ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠ه-٢٠٠٠م).
١٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).
١٣. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر الاشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
١٤. الغزالي، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد زين الدين أبي حامد(ت٥٠٥ه)، القسطاس المستقيم في تقويم أهل التعليم، دار المنهاج، لبنان-بيروت، ط١(١٤٤٠هـ-٢٠١٩م).
١٥. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
١٦. الفخر الرازي، محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
١٧. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
١٨. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق(ت١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٨هـ).

١٩.القرداغي، علي محيي الدين، فقه الميزان معياراً لفهم القرآن والسنة ورفعاً لمواطن الخلل والفرقة، دار ابن كثير، ط١(١٤٤٦ه-٢٠٢٤م).

٢٠.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢(١٣٨٤ه-١٩٦٤م).

٢١.ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر –بيروت، (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م).

٢٢.ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

٢٣.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢(١٤٢٠ه-١٩٩٩م).

٢٤.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي(النكت والعيون)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.

٢٦.المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-دار الفكر، بيروت-دمشق، ط١(١٤١٠هـ).

٢٧.ابو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود(ت ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٢٨.ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١.